الباب الأول

دوافع الحملات الصليبية

obeikan.com

دوافع الحملات الصليبية على المشرق

منذ فجر التاريخ، والصراع قائم بين الحق والباطل، من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وحينما بزغ فجر الإسلام، وعمّ أرجاء الجزيرة العربية في عهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه؛ بدأ أعداء الدين بالتخطيط للنيل منه ومحاربته بشتى الوسائل والطرق؛ وبما أن الإسلام جاء لتوحيد الله تعالى، وإخراج الشعوب المقهورة والمستعمرة من قبضة مستعمريهم، كما هو الحال في هيمنة الإمبراطورية الرومانية على بلاد الشام ومصر والشمال الإفريقي، وكذلك الأمر بالنسبة للهيمنة المجوسية على العراق، لذلك خرجت طلائع الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - لتخليص هذه الشعوب المقهورة من هذه الحكومات الاستعمارية الجائرة، ولإرساء قواعد العدل الإلهي بين هذه الشعوب جميعاً.

لقد خرج قادة الجيوش الإسلامية يحملون رسالة المحبة والسلام قبل خوضهم أي معركة مع الطرف الآخر، فنجحوا في مهمتهم حتى امتد هذا الفتح الإسلامي المبارك في مشارق الأرض ومغاربها، وتقلصت بلاد النصرانية، حتى حصرت في بعض أوروبا تتربص بالمسلمين وتنتظر منهم غفلة وضعفاً، قال تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *» وحينما تهيأت الظروف لأوروبا لإعادة تاريخها الاستعماري في العصور الوسطى لبست مسوح الدين وأخذت تتباكى على الأراضي المقدسة في أرض فلسطين، من جراء تصرفات بعض المحسوبين على الإسلام للحجاج النصارى، فاتخذت ذلك ذريعة للقيام بحملاتها الصليبية بكل صلف واستكبار؛ لتقذف بلاد الشام وقدسها الشريف بالجيوش العاتية، فاحتلت البلاد، وأسّست إمارات.

وتحفل كتب التاريخ بذكر الانقسامات التي هيأت النجاح للصليبيين بهذا الاستعمار البغيض في البلاد الإسلامية كنتيجة لعوامل متعددة: أهمها: البعد عن الله تعالى وثانيها: انشغال ولاة الأمر بأنفسهم للحفاظ على مكاسبهم الشخصية، والكيد لبعضهم بعضاً، وثالثها: انصراف العلماء عن أداء واجبهم الدعوي من خلال الجهر بالحق والوقوف إلى جانبه - إلا من رحم الله - ورابعها: استغلال أعداء الدين وعلى رأسهم الشعوبيون والباطنيون لهذه التفرقة والعمل على توسعتها والحصول على مكاسب بسببها، وخامسها: انصراف الخاصة والعامة من المسلمين عن متابعة الجهد العلمي والتفوق فيه إلى مراقبة هذا الصراع المتجدد والمتعدد بين زعماء الأمة الإسلامية وانغماس أكثرهم فيه. وسادسها: حصول الهجمات البربرية التي قوضت أركان المعارف والعلوم مرات عدة كما هو الحال بالاجتياح المغولي للخلافة العباسية.

الحروب الصليبية

واجهت الأمة العربية الإسلامية في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (٤٩١ هـ/ ١٠٩٦ م) أشرس غزو استعماري استهدف احتلال أراضيها وتدمير هويتها الحضارية. ذلك هو الغزو العسكري الفاشم والذي أطلق عليه مؤرخو الغرب **اسم الحروب الصليبية أو الحملات الصليبية** التي امتدت إلى ما يقارب قرنين من الزمن كانت فيها صولات وجولات، حيث تمكنت أولى الحملات من أن تقيم لها في المشرق العربي عدة إمارات صليبية كالرُّها وأنطاكية ومملكة بيت المقدس وطرابلس.

وقد تنبه المسلمون لمخاطر هذه الحملات الصليبية؛ فوحدوا صفوفهم وأوضحوا كلمتهم ولموا شملهم، كما سيتضح لك من خلال هذا الأطلس في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى. بدء من شرف الدولة مودود التركي ومروراً بصلاح الدين الكردي ونهاية بالظاهر بيبرس المملوكي ومن بعده.

خريطة أوروبية لحملات الإسكندر المقدوني **الإستعمارية** على أجزاء من بلاد المشرق، تعود إلى سنة ١٧٣٥م

أيهما بدأ بالاعتداء على الآخر: الغرب أم الشرق؟

كتب بعض الكتّاب النصارى عن الحروب الصليبية أو عن الإسلام **معتبرين الفتوح الإسلامية غزواً دينياً** لا يختلف عن الغزو الصليبي. قلت: وهذا ظلم جائر، سيتم إيضاحه.

ومن هؤلاء الكتّاب أشخاص بارزين مثل ولسون كاش Wilson Cash الذي كان سكرتيراً لـ C.M.S وزويمر S.M.Zwemer أحد زعماء الإرسالية العربية التنصيرية ودنكان ب. ماكدونالد B.Macdonald Duncan وبالمقابل فإن بعض الكتّاب العرب بنوا مواقفهم من النصرانية والعلاقة بين المسلمين والنصارى على ردود فعلهم تجاه الحروب الصليبية.

إن المؤرخ المنصف حينما يكتشف كيف خرج الإغريق من بلادهم اليونان زاحفين نحو الشرق، يجد الإجابة الشافية على سؤاله في تحول حضارة الإغريق الهلينية الاستعمارية إلى الحضارة الهلينستية كنتاج لامتزاجها بالحضارة الشرقية، وحينما ورثت الإمبراطورية الرومانية حضارة الإغريق، قامت هي الأخرى باحتلال سوريا سنة ٦٤ م، وانتهت بضم مصر إليها، ثم غزت شمال إفريقيا بكامله بعد قضائها المبرم والنهائي على مدينة (قرطاجنة) التي صيرتها خراباً إلى يومنا هذا، وذلك بعد حرقها وتدميرها وزرع أرضها بالملح حتى لا تنبت مرة أخرى، وبلغت حدود الإمبراطورية الرومانية من المحيط الأطلسي غرباً إلى الصحراء السورية العربية شرقاً. إذن خضع الشرق الأدنى لاستعمار بغيض، جاء الإسلام فحرر شعوبه، وطمس وثنيته.

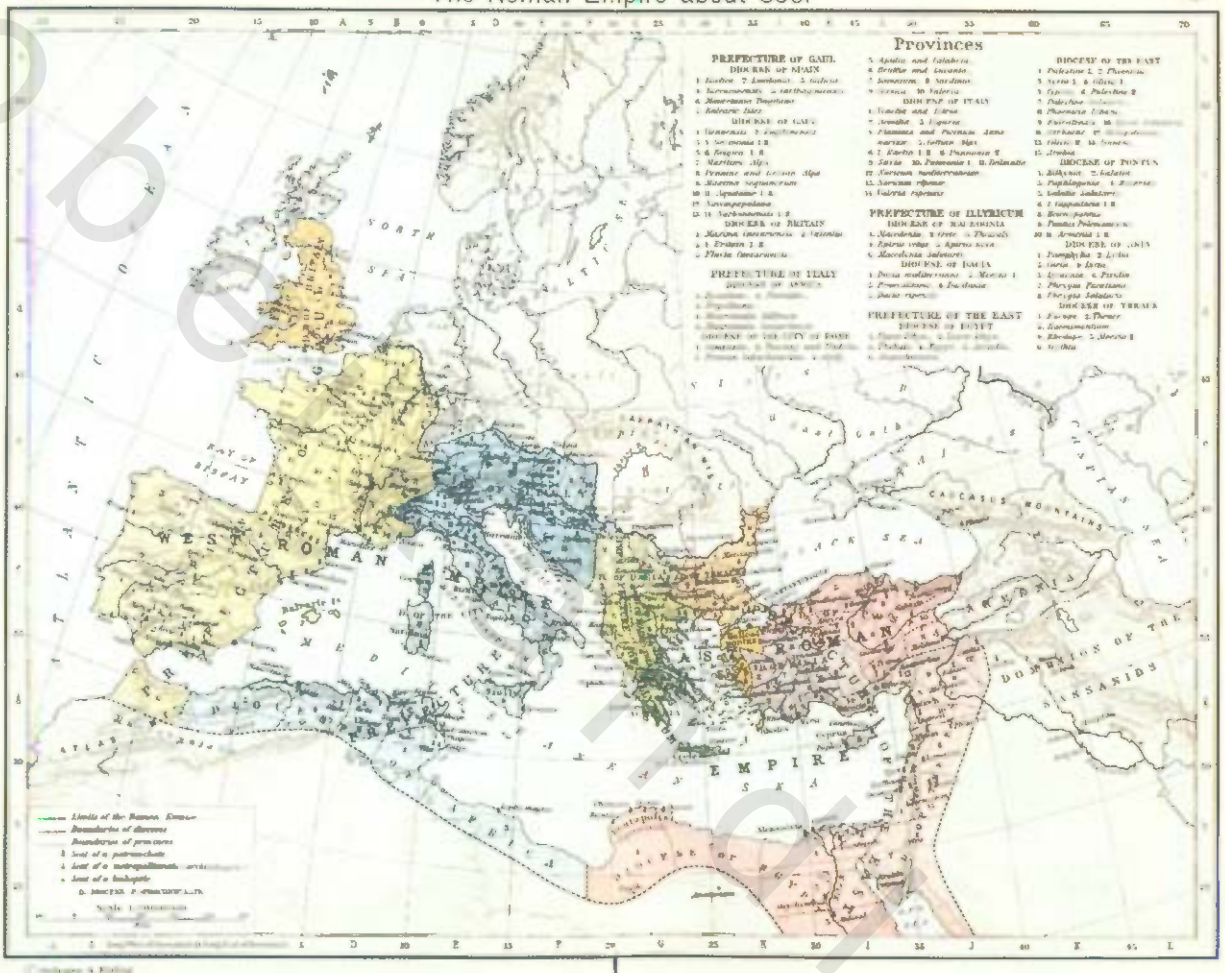

خريطة أوروبية من أطلس أوروبي قديم، للتوسع الاستعماري للإمبراطورية الرومانية على أجزاء من بلاد المشرق والشمال الإفريقي .

أخي القارئ الكريم: تقصدت ن أقدم لك خارطتين أوروبيتين، في الصفحة السابقة وفي هذه الصفحة: تصوران المد الاستعماري في الماضي.

الأولى: لإمبراطورية الإسكندر المقدوني. والثانية: للإمبراطورية الرومانية لكي تقف على الحقيقة الزائفة التي يدعيها بعض المؤرخين الغربيين بان المسلمين هم أول من بدأ العداء ضدهم؛ وكما ذكرنا في الصفحة السابقة على أن الفتح الإسلامي جاء مخلصاً لشعوب بلاد الرافدين وسوريا ومصر والشمال الإفريقي من قبضة المستعمر الغاصب المتعالي .

معركة ملاذكرت (ملاذكرد) ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م

قامت الدولة السلجوقية التركية في القرن الخامس للهجرة لتشمل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى. وأسسها طغرل بك السلجوقي الذي استطاع أن يسقط الدولة البويهية الشيعية التي كانت مسيطرة على الخلافة العباسية ببغداد عام ٤٤٧ هـ، وأن يؤسس بدلاً منها دولته السنية، ثم توفي سنة ٤٥٥ هـ وتولى السلطنة من بعده ابن أخيه **ألب أرسلان** الذي كان قائداً ماهراً وشجاعاً كعمه، فنشر الأمن في سلطنته الواسعة، ثم التفت نحو توحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية ونفوذ السلاجقة.

وأغضبت فتوحاته هذه رومانوس (أرمانوس) إمبراطور الروم، فصمم على القيام بمعركة مضادة للدفاع عن إمبراطوريته، ودخلت قواته في مناوشات ومعارك كان أهمها ملاذكرت عام ٤٦٣ هـ. وتعد معركة "ملاذكرت" من أيام المسلمين الخالدة، مثلها مثل بدر، واليرموك، والقادسية، وحطين، وعين جالوت، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غيّرت وجه التاريخ، وأثّرت في مسيرته، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرت نقطة فاصلة؛ حيث قضت على سيطرة دولة الروم البيزنطية على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعد كما كانت من قبل شوكة في حلق المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني المسلم محمد الفاتح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة وفيها أقبل ملك الروم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرج والفرنج، وعدد عظيم وعُدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة، مع كل بطريق مائتا ألف فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، ومن الغزاة الذين يسكنون **القسطنطينية**، خمسة عشر ألفاً، ومعه مائة ألف نقاب وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفاً عجلة تحمل السلاح والسروج والفرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل، ومن عزمه قبحه الله أن يبيد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيراً، فقال له: أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، والقدر يقول: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ الحجر: ٧٢ فالتقاه السلطان **ألب أرسلان** في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، بمكان يقال

الإمبراطورية البيزنطية

هي إمبراطورية تاريخية، عاصمتها القسطنطينية (بيزنطة)، وكان يطلق عليها الإمبراطورية الرومانية الشرقية و كلمة بيزنطي وضعها مؤرخ ألماني (هيرونيموس ولف) سنة ٥٥٧ م، ونشرها الفرنسيون في القرن ١٨م، للإشارة للإمبراطورية الرومانية الشرقية.

بينما كان رعايا الإمبراطورية يستخدمون كلمة روماني .كان إمبراطورهم يدعى الإمبراطور الروماني. عاشت الإمبراطورية البيزنطية ما يزيد عن ١١ قرناً تقريباً وظلت قائمة حتى عام ١٤٥٣ م.

كانت الإمبراطورية معبراً للقوافل التجارية بين الشرق والغرب. وكانت الإمبراطورية البيزنطية تضم هضبة الأناضول بآسيا وأجزاء من اليونان وجزر بحر إيجه وأرمينية بآسيا الصغرى والشام و الجزيرة الفراتية السورية و مصر وليبيا وتونس والجزائر .

كانت هذه الإمبراطورية تأخذ طابعاً إغريقياً في الثقافة والعلوم حيث حافظت على التراث الإغريقي والروماني. كما تأثرت بحضارات وفنون الشام ومصر وبلاد الإغريق وما بين النهرين. لكن البيزنطيين استحدثوا لهم ثقافاتهم وطرزهم المعمارية الخاصة بهم ولاسيما في بناء الكنائس والقصور و الحمامات والمكتبات والمستشفيات والخانات والأسواق المغطاة وبيوت الضيافة على طرق القوافل . واشتهروا بالأقمشة الملونة. واشتهرت مخطوطاتهم بالتزيين والخط البديع وتهميش الصحات ووضع العناوين. كما إشتهروا بصناعة أبواب القصور والقلاع المصفحة ونسج الحرير الملون وصناعة الأختام من الرصاص والسيراميك (الفسيفساء) والزجاج الملون وسك الدنانير البيزنطية الذهبية و التي كانت متداولة في أيم الإمبراطورية

مرتـزق أوروبي مبالغ فيه لسقوط رومانوس أسيراً عند ألب أرسلان

لـه الزهـوة، في يـوم الأربعـاء لخمس بقين مـن ذي القعـدة. وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد ابـن عبد الملك البخاري بأن يكون وقـت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكـون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عزوجل، ومـرغ وجهـه في الـتراب ودعـا الله واستنصـره، فأنزل نصـره على المسلمـين، ومنحهـم أكتافهـم فقتلوا منهـم خلقاً كثـيراً، وأسر ملكهم أرمانوس، أسره غـلام رومي، فلما أوقف بين يـدي الملك ألب أرسلان ضربـه بيـده ثلاث مقارع وقال: لـو كنت أنا الأسير بـين يديك ما كنت تفعل؟ قال: كل قبيح. قال: فما ظنك بي؟ فقال: إما أن تقتل وتشهرني فـي بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفـداء وتعيدني. قال: ما عزمت على غـير العفو والفداء. فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينـار. فقـام بـين يدي الملك وسقاه شربة مـن ماء وقبَّل الأرض بين يديـه. وقبَّل الأرض إلى جهـة الخليفة إجلالاً وإكرامـاً، وأطلـق لـه الملـك عشـرة آلاف دينار ليتجهـز بهـا، وأطلق معه جماعة مـن البطارقة وشيعه فرسخاً، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بـلاده، ومعهـم راية مكتـوب عليهـا **لا إله إلا الله محمد رسول الله**. فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قـد ملكوا عليهم غـيره، فأرسل إلى السلطـان يعتـذر إليـه، وبعـث مـن الذهـب والجواهـر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار وتزهد ولبس الصـوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك.

وهـذه المعركـة هـي التي مهـدت **للحروب الصليبية** بعـد زدياد قوة السلاجقة المسلمين وعجـز دولة الروم عن الوقـوف في وجه الدولة الفتيـة، وترتـب علـى ذلـك الحملـة الصليبية الأولى. كمـا سـيرد تفصيلهـا فـي الصفحات القادمة من هذا الأطلس إن شاء الله تعالى.

الدافع الديني :

مرتسم أوروبي لمؤتمر كليرمونت. ويظهر فيه البابا أوربان الثاني وهو يخطب في الحشود للدعوة لحرب صليبية

كانت هزيمة ملاذكرت هزيمة قاسية للإمبراطورية البيزنطية الأمر الذي دعا بالإمبراطور البيزنطي بالاتصال بالبابوية في روما على رغم الخلاف الحاد بينهما من أجل الوقوف صفاً واحداً أمام تنامي قوة السلاجقة الأتراك المسلمين؛ إضافة إلى ما أثاره (بطرس الناسك) الراهب الفرنسي الأصل، الذي جاء لزيارة "بيت المقدس"، وزعم أنه أسيئت معاملته مع غيره من الزوّار، وفور عودته إلى بلاده، مر **بروما** وقابل البابا (أوربان الثاني) ودعاه الى إنقاذ الأماكن المقدسة. ثم أخذ يجوب ألمانيا وفرنسا وبلجيكا محرضاً الجماهير في خطبه على الزحف لإنقاذ "**قبر المسيح**"، **قال تعالى:**

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء، ١٥٥ - ١٥٨. فكان تلك الخطب الحماسية، وتشجيع البابا لهذه الحركة؛ اثر كبير في قلوب الناس؛ لتهييج مشاعرها، و ثارة عواطفها.

وكانت أولى ثمار هذا التحرك انعقاد مؤتمر كليرمونت في تشرين الثاني ١٠٩٥م برئاسة البابا، وكان له تأثير كبير في الدعوة للحروب الصليبية ورعايتها، فعمل على المقاربة وإزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية (البيزنطية) والغربية (اللاتينية)، إذ رفع قرار الحرمان الذي كان موقعاً من الإمبراطور البيزنطي. كما أعطى هذا البابا توجيهاته للأمراء ورجال الدين **وكبار التجار الإيطاليين** المشاركين في "مجمع كلير مونت"، بأن يحيك كل محارب صليباً من القماش الأحمر على ردائه الخارجي من ناحية الكتف، رمزاً للمكرة التي خرج ليحارب من أجلها، وقد تم تحديد سنة ١٠٩٧ م موعداً للحملة الصليبية الأولى. وقد أخرج البابا علامة الفداء المقدسة وهي (صليب الخلاص) عندهم وقال: (احملوه على عواتقكم، أو على صدوركم، وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم)، ولم يكتف البابا عند هذا الحد بل أخذ بالتنقل بين المدن والبلدان داعياً لهذه الحرب.

رأي حول قيام الحروب الصليبية

الدولة العبيدية وهدم كنيسة القيامة بقلم: الكاتب المسيحي الشرقي البابلي (ثم نقل النص حرفياً)

كثيراً ما يثير المسلمون قضية **الحروب الصليبية** كلما دار النقاش حول العنف في **القرآن و الإرهاب الإسلامي** قديماً وحديثاً. وهي محاولة يائسة منهم لإيهام القراء بأن المسيحية تجيز العنف والاعتداء بينما الحروب الصليبية تخالف روح الإنجيل مخالفة شديدة وتناقض تعاليم المسيح .. إلا إننا في هذا الموضوع لن نطيل في سرد أسباب رفضنا للحروب الصليبية إنما سنخوض في أسبابها تلك الأسباب التي يحاول أن **يخفيها المسلمون** في مواضيعهم ومشاركاتهم **لأسباب لا تخفى على اللبيب فما ذاك مرجعه إلى الجهل أو التدليس والكذب (وهذان لهما مرجعية شرعية)** ولمعرفتنا بالأسباب فائدة عظيمة إذ من خلال كشفنا للسبب سنتمكن من صد وتحطيم هذه الأسطوانة المشروخة التي طالما لعبوا بها ومتى عرف السبب بطل العجب ..!

أسباب الحروب الصليبية : إن السبب الرئيس لقيام الحملات الصليبية .. هم : المسلمون أنفسهم !!! فبسبب معاملتهم الظالمة للمسيحيين وانتهاكهم لمقدساتهم والاعتداء على إنسانيتهم قامت تلك الحروب .. وإن كان هناك دوافع أخرى سياسية و لكننا لن نتفرع إليها في هذا المقالة. فالموضوع هنا: رد على المسلمين الذي يصورون أنفسهم للعالم **بأنهم حملان و إن المسيحيين هم الذئاب وهم الصليبيين** الذين اقترفوا الفواجع ضدهم رافعين الصليب دون سبب !! لنبدأ بسرد أهم سبب لقيام الحروب الصليبية وهو : **هدم المسلمين لكنيسة القيامة أقدس بقاع المسيحية**!!!

الدولة الفاطمية : قامت الدولة الفاطمية في إفريقية سنة ٢٩٨هـ بزعامة عبيد الله المهدي مدعياً أنه صاحب الحق في الخلافة وأنه حفيد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق وقد مهد لقيامها داعية إسماعيلي يدعى أبو عبد الله الشيعي وحشد لنصرتها قبيلة (كتامة)، وعرفت بالدولة العبيدية.

ولما رسخت قواعدها قضت على دولة الأغالبة في القيروان ثم قضت على دولة الإخشيد في مصر، وبنت فيها مدينة القاهرة ثم انتقلت إليها في عهد المعز لدين الله ودعيت بالدولة الفاطمية. ولم يستطع الخليفة العباسي المقتدر بالله أن يدفع قيامها وكل ما فعله أنه أصدر منشوراً بالطعن في نسب المهدي، وقعه وجهاء الهاشميين بما فيهم البيت العلوي، وسهما قيل في نسب الفاطميين فقد استطاعوا أن يحيوا مجداً وأن يبنوا نهضة وأن يرفعوا مناراً. غير أن الأمل الذي تفتح بقيامها لم يلبث غير زمن قصير، ثم حدثت بها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية تراخت فيها قوتها وانتهت إلى الزوال. وقد بدأ هذا التراخي في عهد الحاكم بأمر الله لسوء تصرفاته، ومنها إقدامه على هدم كنيسة القيامة في القدس وكان هدمها من أسباب قيام الحروب الصليبية. منقول من أحد المواقع المسيحية على الشبكة العنكبوتية، وحاولت جاهداً أن انقل الصورة المتشنجة التي كتب بها هذا الكاتب المسيحي عن أسباب الحروب الصليبية .

الرد على الرأي السابق من خلال استقراء التاريخ المعاصر للحدث

من المتعارف عليه أن بداية الحروب الصليبية جاءت في فترة كانت فيها أوروبا قد تنصرت بالكامل تقريباً بعد اعتناق الفايكينج والسلاف والمجر للنصرانية. فكانت طبقة المحاربين الأوروبيين قد أصبحوا بلا عدو لقتاله، فأصبحوا ينشرون الرعب بين السكان، وتحولوا إلى السرقة وقطع الطرق والقتال في ما بينهم، فما كان من الكنيسة إلا أن حاولت التخفيف بمنع ذلك ضد جماعات معينة في فترات معينة من أجل السيطرة على حالة الفوضى القائمة. وفي ذات الوقت أفسح المجال للأوربيين للاهتمام بموضوع **الأرض المقدسة** التي سيطر عليها المسلمون منذ عدة قرون ولم يتسن للأوربيين الالتفات لها لانشغالهم بالحروب ضد غير النصارى من الفايكنج والمجريين الذين كانوا يشكلون المشكلة الأقرب جغرافياً سابقاً. كذلك بدأت الكنيسة تلعب دوراً في الحرب الاسترادية في إسبانيا، حيث قام **البابا الكسندر الثاني** عام ١٠٦٣م بمباركة المحاربين الذاهبين إلى الأندلس الأمر الذي لعب دوراً كبيراً في تكوين فكرة الحرب المقدسة.

إذن فكرة الحرب المقدسة؛ ليست وليدة **لمضايقات بعض المسلمين** لزوّار بيت المقدس كما يزعمون، - ون كنا لا نقرها نحن المسلمين - بل هي تؤكد على طبيعة الحقد الأوروبي البغيض على الإسلام والمسلمين. **فهل إعلان الحرب على المسلمين في الأندلس نتيجة لمضايقتهم لزوّار بيت المقدس أيضاً ؟!**

معظم المدونات التاريخية النصرانية المعاصرة للحروب الصليبية تنطق بالعداء السافر، وحسبنا أن مؤرخي هذه الحقبة نعتوا المسلمين بأنهم من « الجنس الشرير، و أعداء الله، والبرابرة الوثنيّين، والقتلة وسفاكي الدماء، وأتباع الشياطين، والأمم النجسة » والعبارة الأخيرة، وردت في خطبة **أوربان الثاني** في مؤتمر كليرمونت، انظر نص الرسالة عند: أ . محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦، ص ١٠٠.

اوربان الثاني

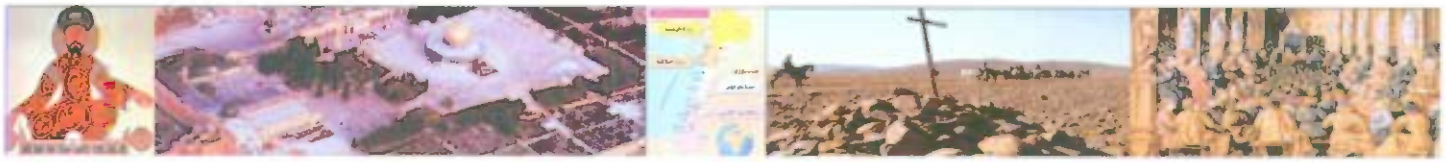

الدافع السياسي :

كان الملوك والأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية يسعون وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاءها سواء قبل وصولهم الشام وفلسطين أو بعد استقرارهم فيهما والمعروف أن النظام الإقطاعي ارتبط دائماً بالأرض وبقدر ما يكون الإقطاع كبيراً والأرض واسعة بقدر ما تكون مكانة الأمير سامية في المجتمع وفي ظل هذا النظام كانت المشكلة الكبرى التي يمكن أن تواجه الأمير والفارس هي عدم وجود إقطاع و أرض له. مما يجعله عديم الأهمية مسلوب النفوذ وأدى هذا إلى بقاء عدد كبير من الفرسان والأمراء بدون أرض، لأن من القواعد الأساسية في هذا النظام أن الابن الأكبر وحده هو الذي يرث الإقطاع فإذا مات صاحب الإقطاع انتقل الإقطاع بأكمله إلى أكبر أبنائه، وهذا يعني لفناء بقية الأبناء دون أرض، وهو وضع ممقوت في المجتمع الإقطاعي. **الأمر الذي جعل الفرسان والأمراء المحرومين من الأرض يتحايلون للتغلب على هذه العقبة** عن طريق الزواج من وريثة إقطاع، أو الالتجاء إلى العدوان والحرب للحصول على إقطاع وكان إن ظهرت الحركة الصليبية لتفتح باباً جديداً أمام ذلك النفر من الأمراء والفرسان، فلبو نداء البابوية، وأسرعوا إلى الإسهام في تلك الحركة لعلهم ينجحون في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق. تعوضهم ما فاتهم في الغرب. **أما الأمراء والفرسان** الذين كانوا يمتلكون إقطاعات فقد وجدوا في المشاركة في الحركة الصليبية فرصة طيبة لتحقيق مجد أكبر والحصول على جاه أعظم .

قال الصلابي: وبدارستنا لمراجع الحروب الصليبية نرى أن أطماع أمراء الحملة الأولى تجلت في عدة مظاهر سياسية، فقد أخذوا يقسمون الغنيمة وهم في الطريق أي قبل أن يستولوا على الغنيمة فعلاً، وسوف نرى بإذن الله تعالى كيف استحكم النزاع فيما بينهم أمام أنطاكية لرغبة كل واحد منهم في الفوز بها وكيف من استطاع منهم أن يحقق لنفسه كسباً في الطريق قنع به وتخلى عن مشاركة بقية الصليبيين في الزحف على بيت المقدس، وهو الهدف الأساسي للحملة وكثيراً مادب الخلاف بينهم – بعد استقرارهم – حول إمارة أو الفوز بمدينة، وعبثاً حاولت البابوية أن تتدخل لفض المنازعات بين الأمراء وتحذرهم بأن المسلمين يحيطون بهم، وأن الواجب الصليبي يستدعي تضامنهم لدفع الخطر عن أنفسهم ولكن تلك الصيحات ذهبت أدراج الرياح، لأن هدف الأمراء كان ذاتياً سياسياً، ولم يكن يهمهم كثيراً أرضاء البابا أو سخطه، بل إن بعض الأمراء لم يحجموا عن مخالطة القوى الإسلامية المجاورة ضد إخوانهم الصليبيين مما يدل على أن الوازع الديني كثيراً ما ضعف عند أولئك الأمراء أمام مصالحهم السياسية. أما بالنسبة للإمبراطور البيزنطي (الكسيوس) فإنه لم يعترض على أهداف أمراء الحملة، لأنه إذا تسنى للدولة البيزنطية استرداد ما كان لها من أملاك قبل غارات الأتراك عليها، جاز أن تقوم في تخومها إمارات مسيحية حاجزة. لها حق السيادة عليها، ولضمان الحصول على ذلك حرص الإمبراطور على الحصول على يمين الولاء من أمراء الغرب، وبذلك توافقت مصالح كلا الجانبين المسيحيين في القيام بالحرب والعدوان على الأرض الإسلامية والواقع أنه من العسير الفصل بين العوامل المادية والعوامل المعنوية التي دفعت المسيحيين إلى الحروب الصليبية، فالفقر

والرغبة في الكسب، وروح المغامرة كانت عوامل هيأت الجو المناسب للحروب، غير أن هذه العوامل لم تظهر إلا بما نجم عن فكرة للحرب " المقدسة " وتخليص الأرض، من حماس ديني، والواضح أن فكرة الحرب نبعت من السياسة البابوية، وسياسة الدولة البيزنطية والحروب الأسبانية الإسلامية، فمما سهل أمر إعلان الحرب على المشرق الإسلامي، ما درج عليه الأسبان والفرنسيون في قتال المسلمين في بلاد الأندلس، حيث أتخذ هذا القتال صفة الحرب المقدسة، سواء من جهة المسلمين، حيث أثار " المرابطون " في المغرب الإسلامي الجهاد الديني، أو من جهة المسيحيين في الحالة النفسية التي اقترنت بتوجيه الحرب الصليبية إلى الشرق، حتى أن المؤرخ الكبير (ابن الأثير) نظر إلى الخطر الخارجي نظرة شمولية، واعتبر أي عدوان على طرف من أطراف العالم الإسلامي – سواء في الشرق والغرب – رافد يصب في النهر الأكبر، وهو الغزو الأجنبي المنظم على أكبر قوة حضارية في العصور الوسطى، وهو الدولة الإسلامية . الأندلس، صقلية، الشام – فلسطين " والتي تكمن في الفرقة، والأطماع الذاتية، وفقدان الروح الوثابة التي تميز بها الحكام والمسلمون الأوائل بناة الدولة الإسلامية هذا وقد كان واضح للعيان أن **الكنيسة الغربية كانت محمومة لتوسيع رقعتها الإقطاعية، والسيطرة على الكنائس الشرقية، إضافة إلى رغبتها في حرب المسلمين**. ومن حقائق التعصب الديني، وجود الجماعات الدينية التي كانت ترتبط بالكنيسة مباشرة وكانت ذات أثر فعال في تلك الحروب، منها فرسان **الاسبتارية** الذين كانوا ملتزمين بالدفاع عن ممتلكات الصليبيين في المشرق، وحماية الأماكن المقدسة وكانوا يرتبطون بالبابا مباشرة، وكانت كنائس بيت المقدس قد خصصت عشر دخلها لمساعدتهم في أداء رسالتهم الدينية المزعومة، وهناك هيئة الفرسان الداوية التي أتخذت مقرها في جزء من هيكل سليمان عليه السلام في المسجد الأقصى، وسميت باسم : فرسان المعبد، ثم حرفت إلى اسم **الداوية** هذا وقد كانت للبابوية ورجل الكنيسة القدرة على التأثير والضغط والتهديد بالنسبة لمن لا ينفذ رغبة الكنيسة بإصدار قرارات الحرمان التي تقضي بالحرمان من النعيم في الآخرة ونبذ طاعته في الدنيا على حد زعمهم. دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية .

الدافع الاجتماعي :

التدرج الهرمي للنظام الاقطاعي في أوروبا في العصور الوسطى

يتألّف المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى من **ثلاث طبقات** :

طبقة رجال الدين (من الكنيسة والديريين) .

طبقة المحاربين (من النبلاء والفرسان).

طبقة الفلاحين (من الأقنان ورقيق الأرض).

لذلك ساد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، تمايز طبقي كبير، فقد سادت فيه طبقة رجال الدين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وكانت طبقة الفلاحين تمثل الطبقة الأكبر المغلوبة على أمرها، والتي كان أفرادها يكدحون ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين.

وكانت الطبقتان الأوليتان تشكلان أقلية تمثل في مجموعها الهيئة الحاكمة من وجهة النظر السياسية والارستقراطية السائدة، في حين ظلّت طبقة الفلاحين تمثل الغالبية المغلوبة على أمرها والتي كان على أفرادها أن يعملوا ويشقوا ليسدوا حاجة الضفتين الأوليتين.

وكان معظم أولئك الفلاحين من العبيد والأقنان الذين ارتبطوا ارتباطاً وراثياً بالأرض التي يعملون عليها وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ الحرية الشخصية. فكل ما يجمعه لقن يعتبر ملكاً خاصاً **للسيد الإقطاعي** لأن القن محروم حتى من الملكية الشخصية.

بيد أن أولئك الفلاحين عاشوا مثقلين بمجموعة ضخمة من الالتزامات والخدمات فكان عليهم أن يقدّموا خدمات معينة للسيد الإقطاعي مثل فلاحة أرضه الخاصة فضلاً عن تسخيرهم في أعمال شاقة مثل إنشاء طريق أو حفر خندق أو إصلاح جسر.

كذلك كان على الفلاحين دفع مقرّرات معينة مثل ضريبة الرأس التي يتعين على كل قن دفعها سنوياً رمزاً لعبوديته، هذا عدا عن الضرائب الأخرى، وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب أوروبا يحيون حياة شاقة مليئة بالذلّ والهوان. وكان ذلك في الوقت الذي علت فيه الدعوة **للحروب الصليبية** فوجدت تلك الألوف من البؤساء في الغرب الأوروبي فرصتها قد حانت للتخلص مما كانت تعيش فيه من الذّل ونكد الدنيا. فالموت كان أحبّ إليهم من حياة الجوع والذّل والعبودية .

أباحت الكنيسة استرقاق المسلمين الأوروبيين الذين لم يعتنقوا لدين النصراني، وكان آلاف من الأسرى الصقالبة أو المسلمين يوزعون عبيداً على الأديرة، وكان القانون الكنسي يقدر ثروة أراضي لكنيسة في بعض الأحيان بعدد من فيها من العبيد لا بقدر ما تساوي من المال، وقد كان العبد يعد سلعة من السلع كما يعده القانون الزمني سواء بسواء، وحرم على عبيد الكنائس أن يوصوا لأحد بأملاكهم، وحرَّم البابا جريجوري الأول على العبيد أن يكونوا قساوسة، أو أن يتزوجوا من النصرانيات الحرائر.

السيد والفارس والقن

استذلال الطبقة الكادحة في النظام الاقطاعي

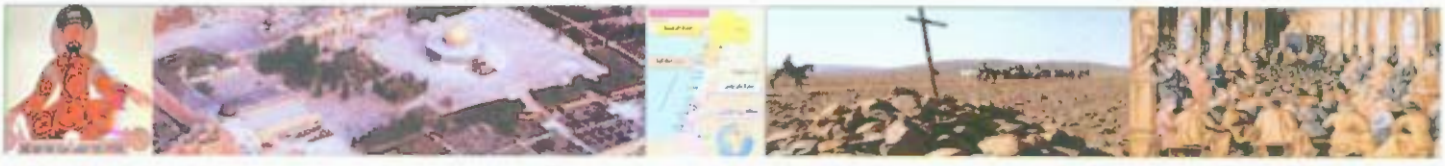

الدافع الاقتصادي :

يعتبر التطلع إلى خيرات المشرق الإسلامي، من أقوى دوافع الحروب الصليبية بعد الدوافع الدينية وقد عبر البابا (أوربان) نفسه في خطابه عن **أهمية العامل الاقتصادي** بالنسبة لواقع أوروبا آنذاك فقال: لا تدعوا شيئاً يقعد بكم .. ذلك أن الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها البحار وقلل الجبال ضيقة على سكانها الكثيرين، وتكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، ويلتهم بعضكم بعضاً .. إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها بل هي فردوس المباهج وإن جميع الوثائق تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غربي أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر، وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى، ولذلك كانت نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين، فقد كانت الأزمة طاحنة حيث الجأت الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب، وبذلك جاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين باباً جديداً للخلاص من أوضاعهم الصعبة وهذا ما يفسر أعمال السلب والنهب للحملة الأولى ضد الشعوب النصرانية التي مروا في أراضيها، كذلك اشتراك عدد كبير من تجار المدن الإيطالية والفرنسية والإسبانية في الحروب الصليبية بغرض استغلالي بحث من أجل السيطرة على الطرق التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدر ثراء للمشتغلين بها، لذلك قامت أساطيلهم بدور فاعل في الاستيلاء على المراكز الرئيسة في الشام، فساعد الجنوية الفرنج في الاستيلاء على أنطاكية سنة ٤٩٠هـ - ١٠٩٧م، وأسهم البنادقة بعد ذلك بعامين في استيلاء اللاتين على بيت المقدس، وكان هدف هذه الجاليات الأول والأخير هو الربح والكسب المادي ولم يكن بعينه الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها، ويكفي أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان: لنكن أولاً بنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين ، ولذلك قامت جمهوريات إيطاليا (جنوا - بيزا - البندقية) بعقد معاهدات مع الصليبيين بالمشرق حصلت على امتيازات اقتصادية كبيرة ، حققت أمراء بمقتضاها من خلالها ما تريد، وسط ظروف عارمة كادت تعصف بتجارتها .

اتسم كلام

الزعيم الديني البابا (أوربان الثاني) في موعظته لأتباعه على محاربة المسلمين، وتخليص ما يزعم بقبر المسيح عليه السلام المقدس منهم، وتحرير بيت المقدس والمقدسات المسيحية في بلاد الشام من أيدي المسلمين. وقد وعد المحاربين بأن تكون رحلتهم إلى الشرق الإسلامي بمثابة غفران كامل لذنوبهم. لقد أدرك مستمعون لخطاب البابا ما يعنيه وما يرمي إليه، فصاحوا في حماس جنوني: "هذه هي إرادة الله... إن الله يريدها" وحملوا من ساعتها شارة الصليب وقد توجهوا نحو الشرق الإسلامي كما طلب منهم.

... ومما جاء في خطاب البابا أوربان : "بأمر الله تتوقف العمليات الحربية بين المسيحيين في أوروبا، ويتجه هؤلاء بأسلحتهم إلى هزيمة الكفرة -يقصد المسلمين- الآن اذهبوا وأزعجوا البرابرة، وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار وامتلكوها لأنفسكم فإنها كما تقول التوراة: تفيض لبناً وعسلاً".

كانت سفن البنادقة والجنويين والبيازة تنقل المتاجر من مصر والشام إلى أوروبا في العصور الوسطى. وكانت سفن البنادقة بصفة خاصة تحمل الجزء الأكبر من تجارة الشرق إلى مينا البندقية، حيث تعرض في سوق ريالتو (Rialto) هناك، لتباع في المزاد العلني للتجار الألمان والإنجليز وغيرهم. وكان سوق "ريالتو" الكبير في البندقية من أشهر الأسواق التجارية في حوض البحر المتوسط، حيث كانت المتاجر الشرقية توضع في عربات وتزحف بها من هذا السوق متجهة إلى أنحاء أوروبا عن طريق سهل لومبارديا وممرات جبال الألب، وطريق الراين، لتصل أخيراً إلى تجار التجزئة في شتى البلاد الأوربية ليتلقفها المستهلكون هناك.

برج بيزا المائل

مدينة بيزا الإيطالية والتي شكلت مع جنوا والبندقية موانئ رئيسة لنقل الصليبيين والتجارة مع المشرق

أهم مصادر ومراجع الباب الأول

١ - القرآن الكريم .

٢ - أ. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب.

٣ - أ . سعيد أحمد برجاوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .

٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار عكاظ للطباعة والنشر .

٥ - د . علي بن محمد الصّلاّبي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، نسخة رقمية .

٦ - ابن كثير الدمشقي، تاريخ البداية والنهاية . طبعات مختلفة .

٧ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٨ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.

٩ - أمين معلوف، "الحروب الصليبية كما رآها العرب" ، نقلها إلى العربية د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، دمشق، ١٩٨٩.

١٠ - الشيخ / محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية .

١١ - سيد علي الحريري، "الحروب الصليبية . أسبابها، حملاتها، نتائجها"، تحقيق وتقديم عصام محمد شبارو، دار التضامن دمشق ط١. ١٩٨٨.

١٢ - أمينة بيطار، "تاريخ العصر الأيوبي" ، دمشق، ١٩٨٢.

١٣ - عبد المنعم ماجد، "الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي".

١٤ - ياقوت الحموي، معجم البلدان .

١٥ - معين أحمد محمود، "تاريخ مدينة القدس".

١٦ - مواقع إلكترونية عن النصارى .

١٧ - موسوعة ويكبيديا على الشبكة العنكبوتية .

١٨ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

١٩ - محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦م .

obeikandl.com